

ويقول فكتور هوجو : « تسألني لماذا أتحدث عنك وعن الناس ؟ عجباً ! لقد كنت أرى أنني أتحدث عنكم جميعاً ، حيناً أتحدث عن نفسي » .
٣ - المذهب الرومانسي لا يحاري العقل ، ولا يخضع لأحكامه ، بل يتوج العاطفة والشعور ، ويرى القلب منبع الإلهام ، والهادي الذي لا يخطئ ، ففيه الشعور والضمير .

يقول « ألفريد دي موسيه » - معارضاً « بوال » الكلاسيكي - « أول مسألة هي ألا ألقى بالآ إلى العقل ، وينصح صديقاً له أن « اقرع باب القلب ، ففيه وحدة العبقرية ، وفيه الرحمة والمذاب والحب » ، وهجا أحدهم العقل بقوله : « منبع الأخطاء الذي لا يفيض ، والسم الذي يفسد مشاعرنا نحو الطبيعة ، ويقتل الحقيقة التي منبعها القلب ، أيها العقل ، إنما أنت فتنة ، قد يعجب بك الناس ، ولكن قلما يحبونك ، إنك لا تؤثر فينا إلا بما يوحى به القلب » (٧٨) .

٤ - البحث عن الحقيقة غاية الكلاسيكي ، أما الرومانسي فغاياته البحث عن مواطن الجمال ، يقول « ألفريد دي موسيه » : « لا حقيقة سوى الجمال ، ولا جمال بدون حقيقة » ، وهم يتغنون بجمال النفوس ، عظيمة كانت أو وضيعة ، وتفيض دموعهم لضحايا المجتمع ، منادين بإنصافهم ، مشيدين بالبساطة ضد الأرستقراطية (٧٩) .

٥ - يتغنى الرومانسي بجمال الطبيعة ويعزي بها الناس عن آلام الحياة ، ويمجد الألم « ويتغنى بجمال الأطلال » وقد طرد الرومانسيون من الطبيعة ما ملأها به الإغريق من كائنات خرافية ، إذ كانوا يجعلون لكل مظهر من مظاهرها إلهاً ، ولكن الرومانسيين أعادوا إلى الطبيعة صمتها الأبدي ، فأصبحت معبداً لله (٨٠) .

على أن هناك أقلية رومانسية ضاقت ذرعاً بالطبيعة التي لا تأبه للإنسان ولا تتأثر بشعوره ، ومن هؤلاء من بالغ في الحق على الطبيعة كما بالغ الآخرون في تمجيدها (٨١) .